إضاءة

بعد اربعة عقود من غياب شبه كامل عن الساحة الادبية، تعود الكاتبة الفرنسية (1918 ـ 2000) الى الواجهة منذ ثلاث سنوات، بمناسبة مئوية ولادتها. ما الذي جعل منها ـ هي التي نشرت لدى دار معروفة مثل «غاليمار» 13 رواية ـ كاتبةً منسيّة؟

باريس ـ **محمود الحاج**

من الصُّدَف ما قد يغيّر حياة كتّاب وكُتُب. لا نعرف إن كانت صُدَفٌ كهذه قد حوّلت في مسار هيلين بيسّيت عندما كانت ما تزال على قيد الحياة، لكنّنا نستطيع التأكيد أنّ منها ما غيّر في حياة كُتُبها. الصدفة، هنا، هي سَنَة ميلاد الكاتبة الفرنسية: 1918. ذلك أنّه بعد دخول بيسّيت حيّز النسيان لسنوات طويلة (حتى قبل رحيلها عام 2000)، جاءت مئوية ولادتها، قبل ثلاثة أعوام، لتُخرجها من تلك الظلمات.

تذكّرتْها، في تلك المناسبة، دورُ نشر كُبرى وصُغرى في فرنسا، واستعادتْها الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى. ومنذ 2018 وحتى إعادة نشر أعمالها وتناوُل تجربتها لا تتوقّف ـ وهي حتى حميدة على أيّة حال. مثلاً: في الشهرين الماضيين فقط، أعيد إصدار كتابين لها، من بينهما «مرثاة لفتاة ترتدي الأسود» الذي صدر لدى منشورات «نو» المعروفة بوضع كُنية الكاتب فحسب على أغلفة كتبها، باعتبارها لا تطبع إلا لأسماء متفرّدة ومعروفة؛ كما استعادتْها، مطلع العام، «المكتبة الوطنية الفرنسية» ضمن سلسلة فعاليات عن الكاتبات المنسيات، في أحيٍ عادت صحيفة «لوموند» إلى تجريتها بمقال مطوّل نُشر أخيراً ضمن سلسلة مشابهة عن شخصيات فرنسية نسائية غطّى عليها النسيان.

تأتي الصُّدفة هنا لتُعيد إلى تجربة أدبية حقّها أو جزءاً منه، بعد أن «رفَضَ» التاريخ، أكثر من مرّة، ضمّ اسمها إلى صفحاته: رُشّحت أعمال لها مرّتين لنَيل جائزتي «غونكور» و«ميديسيس» لكنّها لم تنَل أيّاً منهما؛ ولم يحفظ اسمها من كتبوا وأرّخوا عن الرواية الجديدة، رغم أنها كانت ممّن زرعوا بذرة هذا التيّار الأدبي، قبل أن تنتقل إلى مساحات كتابية جديدة.

بدأت بيسّيت بنشر نصوص سردية في إحدى الدوريات المغمورة خلال إقامتها مع زوجها في كاليدونيا الجديدة، بين منتصف ونهاية الأربعينيات من القرن الماضي. ثم سرعان ما رُشّح اسمها لـ«غاليمار»، التي وقّعت معها عقداً لنشر عشر روايات لها. «ليلي تبكي» (1953) كانت أولى ثمار هذا العقد، وهي رواية قائمة على قصّة قد تكون مالوفة (فتاة تعاني من طغيان أمها)، لكنها كُتبت بلغة وأسلوب لم يكونا مالوفين حينها في الرواية الفرنسية، حيث التخلّي عن الجمل الوصفية الاعتيادية والبنية الحوارية التقليدية، والالتفات إلى معجم شعريّ يلمّح بدلاً من أن يصف، يعبّر بجمل قصيرة تشبه ضربات فرشاة سريعة على لوحة، وتختلط فيه الأصوات بحيث لا يعرف القارئ أحياناً مَن يتحدّث.

ستأتي روايات بيسّيت اللاحقة لتذهب بعيداً في هذا الأسلوب، حدّ أن الكاتبة ستُطلَق على سردها تسمية «روايات شعرية»، ناسبةً، في الوقت نفسه، رؤيتها للأدب إلى أعمال فرجينيا وولف وجيمس جويس.

لكنّ، رغم نشرها 13 رواية، خلال عشرين عاماً (بين 1953 و1973)، لدى أبرز دار نشر فرنسية، هي «غاليمار»، ورغم المديح الذي نالته أعمالها من عددٍ من الكتّاب البارزين فرنسياً في القرن العشرين، مثل ريمون كينو ومارغريت دوراس («هيلين بيسّيت هي الأدب الحيّ، بالنسبة إليّ، في هذه اللحظة، ولا أحد غيرها في فرنسا»، قالت عنها دوراس)، فإنّ النسيان غطّى الكاتبة بشكل شبه كلّي منذ نشر روايتها الأخيرة لدى «غاليمار»: «إيدا أو الهلوسة». إذ مرّت عقودٌ أربعة، أو أكثر بقليل، قبل أن تُصدر دار نشر فرنسية كتاباً لها («سعادة الليل»، منشورات «البو شير»، 2006).

ثمّة أكثر من قراءة تحضر، هنا، لشرح هذا المصير. بعض النقّاد الذين توقّفوا عند هذه المفارقة ذكروا بالبُعد بين أجواء النشر الباريسية، «البرجوازية»، وما تتطلبه من نشاط اجتماعيّ وشِلَلي لأيّ كاتب يُريد صناعة اسم على الساحة الأدبية، وبين خلفية بيسّيت الاجتماعية، وهي القادمة من عائلة فقيرة والمشتغِلة في مهَن مثل تنظيف المنازل أو حراسة المباني، إضافة إلى تربية أبنائها. وتُذكَر في هذا السياق عبارة فرنسية، هي «غاليمار»، ورغم المديح الذي نالته أعمالها من عددٍ من الكتّاب البارزين فرنسياً في القرن العشرين، مثل ريمون كينو ومارغريت دوراس («هيلين بيسّيت هي الأدب الحيّ، بالنسبة إليّ، في هذه اللحظة، ولا أحد غيرها في فرنسا»، قالت عنها دوراس)، فإنّ النسيان غطّى الكاتبة بشكل شبه كلّي منذ نشر روايتها الأخيرة لدى «غاليمار»: «إيدا أو الهلوسة». إذ مرّت عقودٌ أربعة، أو أكثر بقليل، قبل أن تُصدر دار نشر فرنسية كتاباً لها («سعادة الليل»، منشورات «البو شير»، 2006).

ثمّة أكثر من قراءة تحضر، هنا، لشرح هذا المصير. بعض النقّاد الذين توقّفوا عند هذه المفارقة ذكروا بالبُعد بين أجواء النشر الباريسية، «البرجوازية»، وما تتطلبه من نشاط اجتماعيّ وشِلَلي لأيّ كاتب يُريد صناعة اسم على الساحة الأدبية، وبين خلفية بيسّيت الاجتماعية، وهي القادمة من عائلة فقيرة والمشتغِلة في مهَن مثل تنظيف المنازل أو حراسة المباني، إضافة إلى تربية أبنائها. وتُذكَر في هذا السياق عبارة فرنسية، هي «غاليمار»، ورغم المديح الذي نالته أعمالها من عددٍ من الكتّاب البارزين فرنسياً في القرن العشرين، مثل ريمون كينو ومارغريت دوراس («هيلين بيسّيت هي الأدب الحيّ، بالنسبة إليّ، في هذه اللحظة، ولا أحد غيرها في فرنسا»، قالت عنها دوراس)، فإنّ النسيان غطّى الكاتبة بشكل شبه كلّي منذ نشر روايتها الأخيرة لدى «غاليمار»: «إيدا أو الهلوسة». إذ مرّت عقودٌ أربعة، أو أكثر بقليل، قبل أن تُصدر دار نشر فرنسية كتاباً لها («سعادة الليل»، منشورات «البو شير»، 2006).

ثمّة أكثر من قراءة تحضر، هنا، لشرح هذا المصير. بعض النقّاد الذين توقّفوا عند هذه المفارقة ذكروا بالبُعد بين أجواء النشر الباريسية، «البرجوازية»، وما تتطلبه من نشاط اجتماعيّ وشِلَلي لأيّ كاتب يُريد صناعة اسم على الساحة الأدبية، وبين خلفية بيسّيت الاجتماعية، وهي القادمة من عائلة فقيرة والمشتغِلة في مهَن مثل تنظيف المنازل أو حراسة المباني، إضافة إلى تربية أبنائها. وتُذكَر في هذا السياق عبارة

اسمٌ يخرج من النسيان
عودة هيلين بيسّيت

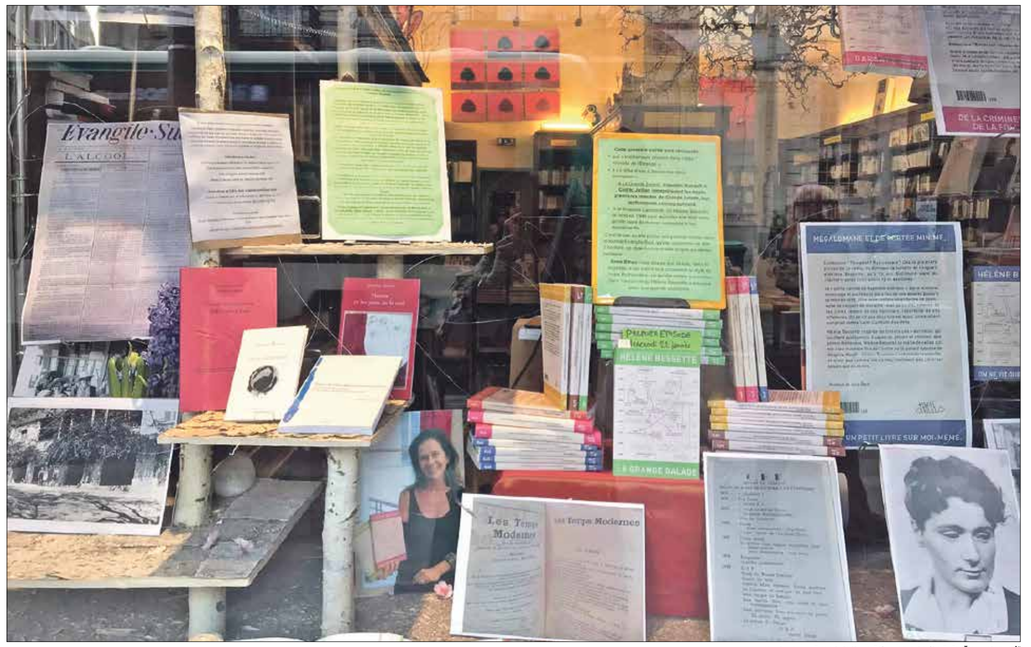

آلار هيلين بيسّيت تملأ واجهة مكتبة «لا بك لوريت» في باريس

اختيار الطريق الوعرة

يمكن الإشارة أيضاً إلى لغة الكاتبة وأسلوبها التجريبي، الذي قد لا يروق مَن يريد من الرواية أن تُخبره حكايةً بطريقة معتادة. فصاحبة «الطريق الأزرق» (1960) تدفع بالسرد إلى حدود الشعر تارة، وإلى الدادائي الحرّ وتقلّباته تارةً أخرى، ضاربة عرض الحائط بأغلب المعايير الشائعة في ما يخصّ البُنية السردية والحوارية وتشكيل الشخصيات، وهو ما يجعل قراءة واحدة من رواياتها عملاً شاقّاً لدى عدد لا بأس من القرّاء، رغم ذلك، قد تكون «حمّى» العودة إلى رواياتها، وإعادتها إلى الضوء في الآونة الأخيرة، دليلاً على عدم صحّة هذه المقولة، أو على نسبيّتها، بحيث يكون السببان المذكوران أعلاه أكثر دقّة في شرح غياب اسمها لعقود من الساحة الأدبية الفرنسية.

طوى النسيان أعمالها أربعة عقود ثم عادت إلى الواجهة

كانت مارغريت دوراس من أبرز المتحمسين لكتابتها

قالتها دوراس في لقاء إذاعي لها، محاولةً شرح غياب اسم بيسّيت عن الساحة الأدبية الفرنسية: «لا يمكن لكتاب أن يصدر من تلقاء نفسه... فهو دائماً ما يُأتي في سياق معيّن، حتّى أكثر الكتب تفرّداً واختلافاً، قد تأتي كتبٌ أخرى لتحول دون انتشاره». على أن المظلومية ليست التعبير الوحيد عن حالة المؤلّفة. إذ لا بدّ من التذكير برفضها المتكرّر لدُخول لعبة السُّلطة في نُسختها الأدبية، تكتب في إحدى رسائلها إلى دار «غاليمار» التي قرّرت التوقف عن نشر أعمالها: «من المؤسف أن أجد نفسي مضطرّة، منذ سنوات، لترجّيكم كما لو كنتم آلهة».

هذه العصامية تحمل، في سياق الحديث عن بيسّيت، أسماءً أخرى يحاول البعض من خلالها شرح تجاهُلها. فما يراه البعض موقفاً مبدئياً من عوالم النشر ولُعبة السلطة، يسمّيه البعض الآخر تعالياً أو غرابةً في الشخصية، أو حتى جنوناً. وهو أمرٌ لم يطرأ على صاحبة «البرج» في وقت متأخّر من تجربتها، بل رافقها منذ نشر كتابها الأوّل، إذ وصفتها «غاليمار»، على غلاف روايتها «ليلي تبكي» (1953) بأنها «ذات طبع نادر وغير مألوف».

ورغم أن هذا الوصف قد يحمل مصداقيةً في جانب منه (تكفي العودة إلى السيرة التي تركتها بيسّيت بعنوان «لا يعيش المرء إلّا حياتَيْن»، وإلى مراسلاتها، لالتقاط شيء من طبعها «النادر» هذا، ومن مزاجها المتقلّب، وشخصيتها المراوِحة بين اعتزاز بالنفس وإحساس مفرط بالمظلومية يُشبه إحساس روسو بـ«مؤامرة» تُحاك ضدّه)، إلّا أنه فتح الباب على تأويلات تُحمّل الكاتبة نفسَها مسؤولية اندثار أثرها لسنوات.

إضافة إلى هاتين القراءتين، السيئتَيْن، يمكن الإشارة أيضاً إلى لغة الكاتبة وأسلوبها التجريبي، الذي قد لا يروق مَن يريد من الرواية أن تُخبره حكاية بطريقة معتادة. فصاحبة «الطريق الأزرق» (1960) تدفع بالسرد إلى حدود الشعر تارة، وإلى الدادائي الحرّ وتقلّباته تارةً أخرى، ضاربة بعرض الحائط أغلب المعايير الشائعة في ما يخصّ البُنية السردية والحوارية وتشكيل الشخصيات، وهو ما يجعل قراءة واحدة من رواياتها عملاً شاقّاً لدى عدد لا بأس من القرّاء، رغم ذلك، قد تكون «حمّى» العودة إلى رواياتها، وإعادتها إلى الضوء في الآونة الأخيرة، دليلاً على عدم صحّة هذه المقولة، أو على نسبيّتها، بحيث يكون السببان المذكوران أعلاه أكثر دقّة في شرح غياب اسمها لعقود من الساحة الأدبية الفرنسية.

مفكرة المترجم

الحيش في مخيلة الآخرين

زينب بني سعد

تقف هذه الزاوية مع مترجمين عرب في مشاغلهم الترجمية وأحوال الترجمة الى اللغة العربية اليوم

بغداد ـ **العربي الجديد**

■ كيف بدأت حكايتك مع الترجمة؟

حكايتي مع الترجمة مُمتدة ولها أثر، بدأتْ من حُب اللغة. لنقُل إن أثرها مطبوع في ذاكرتي وروحي منذ سبعة عشر عامًا، كلما أسأل هذا السؤال. بواكير الأمر كان من شغفي باللغة الإنكليزية بالطبع، والذي ترسّخ أكثر على يد معلمتي في المرحلة الابتدائية أ. نازدار، كنتُ أفهمها وتفهمني منذ أول محاولة لتعلّم A,B,C... لقد سحرني أسلوب تلك المعلّمة التي وضعتها اللغة في طريقي، إلى حد جعلني أنتظر حصتها. ومنذ ذلك الوقت، وأنا واقعة في حب اللغة وحب المعنى وحب القراءة. بعد التخرّج الدراسي، تابعتُ الأمر باجتهاد شخصي وبدأتُ بترجمة مقالات أدبية نشرتُ بعضًا منها على منصات عربية وبعضها في حساباتي في مواقع التواصل وقسمٌ آخر احتفظ به.

■ ما هي آخر الترجمات التي نشرتها وماذا تترجمين الآن؟

في رصيدي حاليًا عملان منشوران: «لون من الفضاء» لعرّاب الرعب هوارد فيليبس لافكرافت صادر عن «دار الخان»، و«الريح في أشجار الصفصاف» لـ كينيث غراهام صادر عن «دار الرافدين». إذ تزامنت بدايتي مع «دار الخان» في الكويت ومع «دار الرافدين» (بغداد-بيروت) في نفس الوقت. هناك ثلاثة أعمال أخرى تنتظر النور تصدر هذا الموسم خلال فترة المعارض بإذن الله. حاليًا أعمل على ترجمة عمل غير تقليدي لصالح منشورات «جدل» في الكويت.

■ ما هي برأيك أبرز العقبات التي تواجه المترجم العربي؟ بالإضافة للعقبات الاقتصادية التي تواجه المترجم، نحن نعاني من أزمة أمانة. ولا أعني هنا المشكلة المطروقة المتعلقة بأمانة النص، وإنما في أمانة قبوله. إذ عرف المترجم مدى سمو مهمته وأدرك قيمة صنعته، لن تغدو باقي العقبات ذات أهمية كبيرة له. غير ذلك، فإن المترجم الذي يسمح بمثل هذه المخالفات سيكون قد وضع أول عقبة له في هذا المشوار الطويل الذي يأخذ من المرء جهدًا ذهنيًا ونفسيًا وحتى صحيًا، وسيكون عرضة للكثير من العقبات ويمهّد الطريق لاستغلاله. ليس بالمعجزة أن يُدرك المترجم «معنى أن يكون أمينًا عند قبول النص» وتكوين صورة شاملة عنه قبل كل شيء، تكمن المعجزة في أن يكون ضميرهُ يقظًا، أن يكون مترجمًا.

■ هناك قول بأن المترجم العربي لا يعترف بدور المحرر. هل ثمة من يحرر ترجماتك بعد الانتهاء، منها؟

نعم ثمة من يحرّر ترجماتي وأرى أن ذلك مطلوب في المرحلة الحالية بالنسبة لي. أرحّب بأي رأي أو نقد أو معلومة قد يصبّ بصالح تطوير النص. أرى أن دور المحرر ضروري في عالم الترجمة لكني أفضّل المتابعة مع المحررين أثناء مراجعة النص لتلافي تغيير جوانب تلتزم بأسلوب الكاتب قد لا يعيها المحرر.

■ كيف هي علاقتك مع الناشر ولا سيما في اختيار العناوين؟

عادةً ما أبحث عن دور نشر رصينة وخاصةً إذا كان في جعبتي أعمال ثمينة تستحق أن تظهر للنور عن طريق ناشر محترم محب لعمله، لا مجرد تاجر. والحمد لله كانت بداياتي خير بدايات وأمل أن تظل كذلك. ففي موضوعة الترجمة، يتطلب من المترجم الصبر في كل خطوة يخطوها، في اختيار النص، في ترجمة النص، وفي اختيار الناشر. أما بالنسبة للعناوين فالموضوع متفاوت، أحيانًا تُطرح عليّ أعمال أقبلها بعد تكوين دراسة شاملة عنها، وفي بعض الأحيان أقترح عناوين ثلاثي قبولًا جيدًا من قبل الناشر. ولأني مهتمة بأدب اليافعين، أسعى للتعاون مع دور نشر تهتم بهذا الصنف الأدبي الساحر. أقدّم لهم اقتراحات عسى ولعل تلاقي استحسانهم.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

زينب بني سعد

بطاقة

مترجمة من من مواليد بغداد عام 1992. حاصلة على بكالوريوس البيولوجيا من «جامعة بغداد». من ترجماتها عن الإنكليزية: «لون من الفضاء» لـ هوارد فيليبس لافكرافت، و«الريح في أشجار الصفصاف» لـ كينيث غراهام، و«مدّ وجَزْر» لـ روبرت لويس ستيفنسن، و«أطفال المياه» لـ تشارلز كنغسلي.

متابعة

«باردو» والجيرة المزعجة مع تجاذبات السياسة

المتحف في غفوته الصيفية

من داخل متحف باردو

يا تي إغلاق المتحف التونسي - لاسباب سياسية او امنية - دون إثارة حفيظة النخب، وهو ما يعني ان المتحف كان خارج الحياة الثقافية تقريباً

تونس - **ليلى بن صالح**

يحاذي «متحف باردو» في تونس العاصمة مبنى البرلمان، وقد كان كلاهما جزءاً من نفس القصر الذي كان يقطنه الملوك الحسينيون الذي حكموا تونس لقرابة قرنين ونصف القرن، وانتهت دولتهم بعيد إعلان استقلال تونس عن الاستعمار الفرنسي.

تفرض هذه المحاذاة تأثيراً بين المبنيين، ولما عرفت تونس في 25 تموز / يوليو الماضي قراراً رئاسياً بتجميد البرلمان، لم يتصوّر أحد أن ذلك قد يكون سبباً في «تجميد» المتحف أيضاً.

أما الأغرب فهو عدم تفطّن معظم النخب لهذا الإغلاق، حتى نشر أحد الناشطين الثقافيين، أبو بكر بن فرج، تدوينة على صفحته في فيسبوك يشير فيها إلى هذه المظلمة في حقّ تاريخ البلاد. كتب بن فرج (بالفرنسية): «الإغلاق الكامل لمتحف باردو منذ 25 تموز / يوليو، تبعاً لتجميد أنشطة مجلس نواب الشعب الذي يجاوره يعد انحرافاً خطيراً. إنه قرار أحادي، عشوائي، سياسي الطابع أو أمني لا يمكن تبريره».

لعلّ ما حدث يشير إلى نوع العلاقة التي تربط اليوم مواقع القرار في تونس بمؤسسات الدولة، ومنها المتاحف بما تكتنزه من رمزيات، وكأنها مجرّد هامش لا أهمية له. لكن هل يمكن إيصال مثل هذا الطرح إلى عقول أصحاب القرار؟

وعينا الا ننسى أن الإغلاق الذي يعيشه «متحف باردو»، وهو أهم مؤسسة متحفية في تونس، ليس إلا تواصلاً لمنطق تهميشي يعيشه المتحف، حيث يفتقر إلى الإشعاع، ويبدو في الغالب وكأنه يقدّم خطاباً موجّهاً للسيّاح وليس لأبناء البلد، ولذلك فإن إغلاقه مرّ دون أثر يذكر. من الوجيه، أيضاً، أن نتوقّف عند فرضية أن يكون الإغلاق قد أتى ضمن ترتيبات أمنية، وطالما عرفت تونس أولوية المسألة الأمنية على حساب كل قطاعات الحياة الأخرى من الاقتصاد إلى الثقافة.

حدث ذلك في الزمن الديكتاتوري حين كان كل شيء يمرّ بمقدار ما تريده السلطة، كما أعيد إنتاج ذلك في صيغة جديدة مع ظهور قانون الإرهاب وحالة الطوارئ التي جعلت من الخيارات الأمنية تخترق كل القرارات العمومية.

ما يغيب عن هذا العقل الأمني هو أن توقّف متحف باردو يعني إسقاط الشاشة التي يفترض أن تعرض ذاكرة البلاد، ومن المعروف أن هذا المتحف يمثّل أحد أكثر المواقع زيارة من قبل السيّاح باعتبار أنه الوحيد الذي يقدّم تاريخ تونس في سردية واحدة من عصورها القديمة؛ الفينيقية والرومانية، إلى العصور الإسلامية.

تقلّبات السياسة في تونس السنوات الأخيرة باتت تدعو إلى فصل التجاذبات والسير العادي لدواليب الحياة اليومية، ومنها المؤسسات الثقافية.

ولعلّه والأمر كذلك بات من المهم أن يجري التفكير في إيجاد موقع آخر للمتحف الوطني، وإن كان من الأولى نقل البرلمان من مقرّه الحالي (وهو مبنى أثري) وليس المتحف، كي لا تعطّل تقلّبات السياسة ذاكرة البلاد.

ليس الإغلاق اليوم غير مواصلة لحالة التهميش التي يعيشها المتحف

فعاليات

انتفاضة مناخية 4,0: حالة طوارئ عنوان وقفة احتجاجية تنظّمها جمعيات ومنظمات من المجتمع المدني في تونس امام «المسرح البلدي» في تونس العاصمة يوم غد الخميس. تستند الوقفة الاحتجاجية إلى مجموعة من التقلبات والازمات التي عرفها صيف تونس مثل حرائق الغابات، وانقطاع المياه الصالحة للشرب.

يقيم، اليوم، «معهد القاهرة للعلوم والآداب الحرة» ندوة لتقديم مشروع **مختبر التاريخ الشفهي: احياء الإسكندرية** وضمنه تتحدّث الباحثة **نايري عبد الشافي** عن توجّهات المختبر وكيف سيتم اعتماد المادة الشفوية كوثيقة تاريخية. يهدف المختبر إلى تسجيل قصص و تجارب عن الاحياء وخصوصيتها التاريخية والثقافية ويجري تدريب المشاركين على تعلّم كيفية تصميم و تنفيذ مشروع تاريخ شفهي.

على خشبة «مسرح المدينة» في بيروت، تعرض مساء السبت المقبل، 25 ايلول / سبتمبر الجاري، مسرحية **آخر عزيمة** من إنتاج و تاليف «مسرح شغل بيت» واخراج **شادي الهبر**. شارك في تجسيد شخصيات المسرحية كل من: **الياس البيم**، و**رنيم اسبر**، و**كريم فايق**، و**مرهف ابو حجيلة**، و**يولا سليمان**.

حتى 25 من الشهر الجاري، يتواصل معرض **جذور** للفنان التشكيلي المغربي **نور الدين ورحيم**، في قاعة العرض بالمعهد الثقافي الفرنسي في مدينة الصويرة المغربية. تتوزّع الاعمال بين النحت والسيراميك ولاند آرت والرسم الزيتي، وفيها يقارب ورحيم قضايا الإنسان المعاصرة بين رهانات الحداثة واشتراطات التجذّر.